مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٢:١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلَمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحنُ أيضاً بيسوعَ المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجسد* فإن كنا ونحنُ طالِبونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجدنا نحنُ أيضاً خطأةً أفيكونُ المسيحُ إذاً خادماً للخطيئة. حاشى* فإني إن عدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجعلُ نفسي متعدِّياً* لأنّي بالناموسِ مُتُّ للناموسِ لكي أحيا لله* معَ المسيحِ صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذلَ نفسَهُ عني.

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧–٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى كورةِ الجُرجُسيين فاستقبله رجلٌ من المدينة

وبذل نفسه عنّا

شكّل موت يسوع على الصليب وقيامته من بين الأموات الحدث الرئيس في وعي الكنيسة الأولى وحياتها. ولقد عمد المعلّمون المسيحيون الأوّلون إلى تأمّل هذا الحدث واستخراج عميق أبعاده وغنى معانيه. فالإنجيلي يوحنا، ينظر إلى يسوع المصلوب بوصفه المنتصر معتبراً أنّ لحظة صلب يسوع هي لحظة تمجيده (يو ١٧:١). أمّا الرسالة إلى العبرانيين فنراها تستنجد بفكرة الكهنوت لشرح معنى موت المسيح محتسبةً أن يسوع، بموته، حقّق غاية ذبائح العهد القديم كافةً، لكونه صالح الله مع البشر في ذبيحة دمويّة غير قابلة لأن تتكرّر، صائراً بذلك رئيس الكهنة الحقيقيّ الوحيد. لذا، تُدعى الذبيحة التي نقيمها في كل مرة نحتفل فيها بسر الشكر «ذبيحةً غير دمويّة» لكونها استحضار للذبيحة الفريدة التي قدّمها يسوع على الصليب مرة واحدة من أجل غفران خطايا البشر كافةً. والإنجيلي لوقا، من جهته، يركّز على أنّ القضاء على يسوع الذي نفذه الرومان بوحي من رؤساء اليهود إنّما هو موت البارّ الذي تحدث عنه إشعياء النبي، والذي سيحقّق الله بواسطته الخلاص لشعبه (لو ٢٣:٤٧؛ إش ٥٣:١١). هذه المحاولات لدى كتّاب العهد الجديد لتقصّي معنى سر الصليب والإحاطة به تدلّ على أنّ موت يسوع، بالنسبة إلى فكر الكنيسة الأولى وخطابها، لم تكن تختزله صورة واحدة أو تعبير واحد، بل كان حدثاً متعدّد الظلال، مع تأكيد المعلّمين المسيحيين الأُول، مرّةً تلو مرّة، أنّ حياة يسوع المتوّجة بموته وقيامته شكّلت كلمة الله الأخيرة بالنسبة إلى البشر، وتحقيق كلّ وعود الله في الكتب المقدّسة، والإستجابة الإلهيّة لكلّ ما صبا إليه قضاة العهد القديم وكهنته وأنبياؤه.

العدد ٤٣/٢٠٠٤

الأحد ٢٤ تشرين الأول

تذكار القديس الشهيد

الحارث ورفقته

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر العاشر

ضمن هذا الإطار العام نجد بولس الرسول يضفي على يسوع المصلوب صفة «الفادي» الذي يبذل نفسه عن البشر (غلا ٢:٢٠) و«يشتريهم» بدمه (١كور ٦:٢٠). من الواضح أننا هنا أمام طريقة غريبة في التعبير عن سرّ موت يسوع على الخشبة. فعبارة «اشترى» توحي، للوهلة الأولى، بفكرة مستمدّة من حياة الناس الإقتصادية. والحق أنّ لجوء بولس إلى مثل هذه الفكرة يجب ألاّ يبقى مدعاةً للإستغراب. فرسول الأمم ما كان

بهِ شياطينُ منذُ زمانٍ طويل
ولم يكن يلبَس ثوباً ولا
يأوي إلى بيتٍ بل إلى
القبورِ* فلمَّا رأى يسوعَ
صاحَ وخرَّ لهُ وقال بصوتٍ
عظيمٍ ما لي ولك يا يسوعُ
ابنُ الله العليّ. أطلبُ إليك ألاَّ
تُعذِّبني* فإنَّهُ أمر الروحَ
النجسَ أن يخرُجَ من
الإنسان لأنَّه كان قد اختطفَهُ
منذ زمانٍ طويل وكان يُربَطُ
بسلاسِلَ ويُحبَسُ بقيودٍ
فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من
الشيطان إلى البراري*
فسألهُ يسوعُ قائلاً ما اسمُك.
فقال لَجيونُ لأنَّ شياطينَ
كثيرينَ كانوا قد دخلوا فيهِ*
وطلبوا إليهِ أن لا يأمرَهم
بالذهاب إلى الهاوية* وكان
هناك قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ
ترعى في الجبل* فطلبوا إليهِ
أن يأذَنَ لهم بالدخول فيها
فأذِنَ لهم* فخرجَ الشياطينُ
مِنَ الإنسانِ ودخلوا في
الخنازير فوثبَ القطيعُ عن
الجُرفِ إلى البُحيرةِ
فاختنقَ* فلمَّا رأى الرُّعاةُ
ما حدثَ هربوا فأخبروا في
المدينة وفي الحقول*
فخرجوا ليرَوا ما حدثَ وأتوا
إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ
الذي خرجتْ منهُ الشياطينُ
جالساً عندَ قَدَمي يسوعَ
لابساً صحيحَ العقل فخافوا*
وأخبرهم الناظِرون أيضاً
كيف أُبرِئَ المجنونُ* فسألهُ
جميعُ جمهورِ كورةِ
الجُرجسيينَ أن ينصرفَ

يتوانى عن اللوذ بأيّ صورة أو تعبير ليغوص في إظهار ما يختزنه موت يسوع على الصليب من معان.

لا تتّضح فكرة الفداء في معناها البولسيّ إلاّ بالعودة إلى المدلول الذي كانت تكتسبه في العهد القديم. الملاحظ، أولاً، أنّ صورة الفادي المطبقة على يسوع المصلوب تحيلنا إلى بعض فصول كتاب إشعياء النبيّ حيث يحرص الله على تعزية شعبه، ربّما بسبب ما قاساه هذا الشعب من نكبات السبي (العام ٥٨٧ ق.م.)، مشيراً إلى أنّه هو نفسه «فادي» إسرائيل (إش ٤٣:١؛ ٤٤:٦).

مفهوم الفداء، إذاً، ليس مفهوماً جديداً، بل هو متأصّل في العهد القديم. الجديد هو أنّ هذا اللقب الذي كان صفةً أطلقها إله العهد القديم على نفسه رغبةً منه في مدّ شعبه بالعزاء «عزُّوا، عزُّوا شعبي يقول إلهكم» (إش ٤٠:١) أضحى في العهد الجديد لقباً مختصاً بيسوع. حدث الصليب، إذاً، بكونه «فداء»، هو بشارة تعزية كبرى لكلّ البشر، ولا سيّما لأولئك الذين قبلوا «فداء» المسيح عبر انخراطهم في جسده بالمعموديّة.

ما هو المعنى الأصلي لفكرة «الفداء» في المجتمع اليهوديّ؟ غني عن القول إنّ الإستجلاء الدقيق لمفهوم «الفداء» يتيح لنا فهم الخلفيّة التي حدث بالله، في العهد القديم، إلى أن يسمّي نفسه «فادياً» وبالرسول بولس، في العهد الجديد، إلى أن يعتبر أنّ فداء الله النهائيّ لشعبه تحقّق عبر موت يسوع على الصليب. فكرة الفداء، كما أشرنا إليه أعلاه، مستقاة من الحياة الإقتصادية. لنتخيّل شخصاً غرق في الديون إلى حدّ أنه ما عاد قادراً على أن يفيها. في حال كهذه، الدائن يحقّ له أن يحوّله إلى عبد لديه، حتى يعوّض بتعبه الجسدي الأموال المتراكمة التي لم يتمكّن من ردّها. أما الفادي فهو الإنسان الأقرب إلى هذا المديون. وهو مطالَبٌ بتسديد الدين، إذا سمحت ظروفه المعيشيّة بذلك، حتى لا يقع المديون تحت طائلة العبوديّة. والمعروف أنّ العبوديّة، في عرف الشعب الإسرائيليّ، كانت أسوأ ما يمكن أن يتعرّض له المرء من عقاب، إذ كانت تذكّر بالحقبة حين كان الشعب نفسه مستعبَداً في أرض مصر. فكرة الفداء تحمل، إذاً، بعدين: تشير إلى عمل يقوم به إنسان فيحرّر آخر من العبوديّة أو يجنّبه الوقوع فيها. كما أنّ الفداء يحيل إلى علاقة القربى الحميمة بين الفادي ومُفداه.

لا شك في أنّ بولس الرسول، عندما استخدم صورة «الفداء» ليصف ما قام به الناصريّ على الصليب، إنّما أراد أن يضع نصب أعين قرّائه هذين البعدين. فابن الله، بفضل تجسّده، أصبح أقرب المقرّبين إلى البشر. وهو، تالياً، الوحيد المؤهّل لتحريرهم من نير الخطيئة، أي أن «يفديهم». ولقد قام بهذا عبر تسليم ذاته للموت على الصليب باذلاً «نفسه» عن البشر. على هذا المستوى، لا مجال للمقارنة بين فداء يسوع والفداء كما كان يُمارس في المجتمع اليهوديّ القديم. ففيما كان الفادي، في القدم، يبذل مبلغاً من المال، أي ما نسمّيه «الفدية»، نجد أنّ السيّد في العهد الجديد يبذل حياته ذاتها حتى يعتق البشر، محقّقاً بذلك، على أكمل وجه، سرّ الفداء كما تحدّث عنه إشعياء النبي. ويبقى الارتباط بين فكرة الله الفادي في العهد القديم ويسوع، ابن الله، الفادي في العهد الجديد وثيق العرى. ففي كلا الحالين، يتدخّل الله نفسه في حياة البشر عبر عمل جديد، فريد من نوعه، فيصنع للمفديّين خلاصاً يكون خبر تعزية وفرح بالنسبة إليهم: «عزّوا، عزّوا شعبي

عنهم لأنَّهُ اعتراهم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجعَ* فسألهُ الرجُلُ الذي خرجتْ منهُ الشياطينُ أن يكونَ معهُ. فصرفَهُ يسوعُ قائلاً إرجِعْ إلى بيتك وحدِّث بما صنعَ الله إليك. فذهبَ وهو ينادي في المدينة كلِّها بما صنعَ إليهِ يسوعُ.

تأمل

إذا رأينا الأرواح النجسة والشياطين الخبيثة تسمع أقوال ربها وتخاف من خالقها هكذا وتمتثل أوامره بسرعةٍ وتبادر إلى العمل بمراسيمه بالخوف والوقار فما بالك أنت تسمعهُ دائماً يأمرك بمحبة الاخوة والإحسان إلى المسيئين والمسالمة مع المبغضين وأنت لا تصنع هكذا. بل تغتصب أخاك وتخاصم صاحبك وتشتهي قتل مبغضك وتنازع المشاركين لك. وليس ذلك في الشوارع فقط بل في مجامع المؤمنين أيضاً. اسمع يا هذا قول بولس الرسول انه بلغني انكم إذا اجتمعتم في البيعة يكون بينكم اختلافٌ وشقاقٌ وأنا مصدّقٌ لذلك لأن الحسد والشقاق مزمعان أن يكونا بينكم لتُعرف الأخيار منكم من الأشرار. ومعناهُ انه إذا وقعَ بينكم شرور يتميَّز الطائعون للمسيح بالصبر والاحتمال والصفح عن المسيئين. ويظهر شرُّ الأشرار بكثرة المماحكة والفجور يقول إلهكم». ويرى الرسول بولس، في هذا الصدد، أنّ جذريّة ما حقّقه يسوع على الصليب تستدعي أن يغيّر المفديّون سلوكهم، إثر معموديتهم، تغييراً جذريًّا يليق بالخلاص الذي أسبغه الله عليهم مجاناً: «أم لستم تعلمونَ أن جسدكم هو هيكلٌ للروحِ القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنَّكم لستم لأنفسكم» (١كور ٦:١٩).

تعليم الرب يسوع
(تابع)

بعد تحذير الرب يسوع تلاميذه من انَّهم سوف يتعرَّضون للإضطهاد في كل مكان وتشديده إياهم بأنِ الروح القدس سوف يعطيهم ما يتكلّمون به في زمن الإضطهاد (متى ١٠: ١٦–٢٠)، يقول لهم «ليسَ التلميذُ أفضلَ من المعلِّم ولا العبدُ أفضلَ من سيِّدهِ. يكفي التلميذَ أن يكونَ كمعلّمهِ والعبدَ كسيِّده. إن كانوا قد لقَّبوا ربَّ البيتِ بعلزبولَ فكم بالحريِ أهلَ بيته» (متى ١٠:٢٤–٢٥). ما سوف يتعرَّض له التلاميذ وكل حامِل للبشارة يشبه ما تعرَّض له المعلِّم. إنهم ليسوا أفضل حالاً منه. يكفي الرسل فخر انهم سوف يُعامَلون كما عومل السيد. لذا نرى الرسول بولس لا يفتخر إلا بصليب الرب:«لأنَّ المسيحَ لم يرسلني لأُعمِّدَ بل لأبشِّر لا بحكمةِ كلامٍ لئلاَّ يتعطَّل صليبُ المسيح. فإنَّ كلمةَ الصليبِ عندَ الهالكينَ جهالةٌ وأمَّا عندنا نحن المُخلَّصين فهي قوةُ اللهِ... ولكننا نحن نكرز بالمسيحِ مصلوباً... حتى كما هو مكتوبٌ من افتخرَ فليفتخر بالرَّبِّ... لأنّي لم أعزمْ أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوعَ المسيحَ وإيَّاهُ مصلوباً» (١كور ١٧ و١٨ و٢٣ و٣١؛ ٢:٢).

إذاً، يضع الرب أمام تلاميذه الحقائق كاملة لئلا يظنوا هم وكل من يحمل اسمه ان حياتهم نزهة جميلة. الإضطهاد هو عنوان حياتهم. إلاَّ انه يعود ويشدِّدهم «فلا تخافوهم. لأنْ ليسَ مكتومٌ لن يُستعلن ولا خفيٌّ لن يُعرف. الذي أقوله لكم في الظلمةِ قولوهُ في النورِ، والذي تسمعونه في الأذُنِ نادوا بهِ على السطوحِ. ولا تخافوا من الذينَ يقتلونَ الجسدَ ولكن النَّفسَ لا يقدِرونَ أن يقتلوها. بل خافوا بالحريِّ من الذي يقدِرُ أن يُهلِكَ النفسَ والجسدَ كِليهما في جهنم» (متى١٠:٢٦–٢٨). «فإن من أراد أن يخلِّص نفسه يُهلكها. ومن يُهلك نفسه من أجلي يخلِّصها» (لو٩:٢٤) و«من يحب نفسه يُهلكها ومن يُبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية» (يو ١٢:٢٥). المهم بالنسبة للتلميذ هو ما سيلقاه في اليوم الأخير، كيف ستكون النهاية. كما أعلن الله الإبن رباً عندما أقامه من بين الأموات، هكذا سيعلن تلاميذه أبناءً للملكوت في اليوم الأخير. القضية هي قضية أولويات بالنسبة للمؤمن. هل يريد الخلاص في اليوم الأخير أم الخلاص الأرضي؟ يسوع يدعونا لأن نهتم بخلاص النفس، إذ لا أحد مهما علا شأنه يستطيع أن يهلك نفس الإنسان إذا كان هذا مؤمناً ومبشِّراً بيسوع. لا يهم أن يهلك جسد الإنسان، فهذا الجسد سوف يقوم في اليوم الأخير، يوم القيامة العامة. لكن، كما يقول الرسول بولس، سيُقام جسداً روحانياً ممجداً. لذا دعوة الرب أن نخاف «من الذي يقدِرُ أن يُهلِكَ النفسَ والجسدَ كِليهما في جهنَّم» (متى ١٠ :٢٨)، ودعوته لأن نعلن في النور، على الملأ، ما تعلّمناه وسمعناه منه.

كيف يُنقذ الإنسان نفسه من الهلاك؟ عبر الإعتراف بيسوع انه ربٌ وإله. «فكل مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا أيضاً به قدَّام أبي الذي في السموات. (متى ١٠:٣٢ –

والمنازعة وحبّ الغلبة. وقال بعد ذلك ألا ترون ان أقسام المواهب كثيرة وأصناف الخدم موجودة والله يفعل في كل واحدٍ من الناس كما يشاء. فواحدٌ يُعطى بالروح قدر ما ينفعه. وآخر أُعطي كلام الحكمة. وآخر كلام العلم. وآخر أُعطي مواهب الشفاء. وآخر القوّات وآخر النبوَّة وآخر أصناف الألسن وآخر ترجمة اللغات. وكل هذه المواهب يقسمها هذا الروح الواحد لكل واحدٍ كما يشاءُ. فما بالكم الآن تتنافسون وتتغايرون إذا كان الله هو مقسِّم الرتب والمُعطي كل واحدٍ بحسب استحقاقه. ويا للعجب من الذين يكثرون المخاصمات في الأسواق والشوارع فيكسبون المذمَّة من الناس والملامة من الحاضرين والذين يُشوّشون بالفِتن مجالس المجتمعين في ملاهي اللعب وخيال الظلّ والخمَّارات وحَلَقات المشعوذين فيُشتَمون ويُهانون. ومن الذين يتنازعون في ابواب الملوك والعظماء فيُضرَبون بالسياط ويُحبسون ولا يُرحمون. فإذا كان الذين يُشوّشون هذه الأماكن العالميَّة يُفعل بهم هذه الأفعال فالذين يُشوشون بيعة الله ومصافَّ الملائكة ومجامع الشهداء والأبرار بماذا يُعاقَبون وبأيّ عذابٍ يُعذَّبون؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣٣). كأننا في هذا الكلام واقفون في قاعة محكمة حيث القاضي والمتهم والمدّعي العام ومحامي الدفاع. القاضي هو الآب السماوي الذي سيصدر الحكم على المتهم، فإما يعلن براءته أو إدانته. إلاّ ان الفرادة في هذه المحكمة الإلهية تكمن في أن يسوع هو المدّعي العام ومحامي الدفاع معاً، وهذا ما لا نجده في المحاكم الأرضية. إذا اعترفت بيسوع خلال حياتك فسوف يعترف بك قدّام الآب السماوي، وإذا أنكرته هنا فسوف ينكرك هناك. لذا علينا أن نجتهد من خلال أقوالنا وأعمالنا وحياتنا وتصرفاتنا أن نشهد أمام الجميع بأن يسوع هو إلهنا ومخلّصنا. قد يصل الأمر بالبعض إلى حدود الشهادة بالموت. تاريخ الكنيسة، وخاصة القرون الأولى للمسيحية، مليء بالشهداء الذين فضلّوا الموت على نكران السيد لأنهم اختاروا النصيب الصالح الذي لا يُنزع منهم.

إذاً، الإعتراف بيسوع هو الذي يُدخلنا إلى ملكوت السماء، وهذا ما يُميِّز الناس عن بعضهم. لذا نسمع الرب يقول: «لا تظنُّوا أني جِئتُ لأُلقيَ سلاماً على الأرض. ما جِئتُ لأُلقيَ سلاماً بل سيفاً. فإني جِئتُ لأفرِّقَ الإنسانَ ضِدَّ أبيه والابنةَ ضِدَّ أمِّها والكنَّةَ ضِدَّ حماتها وأعداءُ الإنسانِ أهلُ بيتِهِ. مَن أحبَّ أباً أو أمًّا أكثرَ مني فلا يستحقُّني. ومن أحبَّ ابناً أو ابنةً أكثرَ مني فلا يستحقُّني ومن لا يأخذُ صليبهُ ويتبعني فلا يستحقُّني» (متى ١٠: ٣٤-٣٨). ما سيفرِّق الإبن عن أبيه هو الالتزام بيسوع. اسم يسوع هو الذي يفصل كالسيف بين أهل البيت الواحد. هذا هو معنى «جئت لأفرِّق الإنسان ضد أبيه...» أي ان واحداً منهما سوف يكون مع يسوع والآخر ضده، وهذا هو الحد الفاصل. لم يكن تجسُّد الرب يسوع مجرَّد إعلان للدينونة التي سوف تأتي في الآخرة. تجسده كان الدينونة، وتعاليمه كانت أُسس هذه الدينونة، فبقدر التزامك بتعاليمه أو عدمه يكون مقياس الدينونة منذ الآن. أنت لا تنتظر الدينونة في اليوم الأخير لكي تُدان. أنت قد دُنْتَ منذ الآن، منذ لحظة اعترافك بيسوع أو نكرانك إيَّاه. المهم أن يكون الإنسان مكرّساً حياته لأجل يسوع وحده: «ومن أضاعَ حياتَهُ من أجلي يجدُها» (متى ١٠:٣٩). أين يجدها؟ في الملكوت في اليوم الأخير.

عيد القديس ديمتريوس

بمناسبة عيد القديس ديمتريوس المفيض الطيب يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ٢٥ تشرين الأول وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء ٢٦ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

أمسية مرتلة

بمناسبة المئوية الأولى لبناء كنيسة دير القديس جاورجيوس في سوق الغرب تُقيم جوقة القديس رومانوس في أبرشية بيروت أمسية مرتلة عند الخامسة من مساء الأحد ٣١ تشرين الأول ٢٠٠٤ في كنيسة القديس جاورجيوس في سوق الغرب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb